شعر

أحذفُ نافذة الغرفة، أضعُ مكانها صورة الشهيد

زلزلة تجعل الغرقى يركضون

عاشور الطويبي

كيف أكتب عن الحرب وقد امتلأت أنفاسي
بأصوات القتلى؟!
كيف أكتب عن الجنود الغاصبين وقد
فاحت الكراهية من بنادقهم؟!
سأغمض عيني!

كلّ قطرة ماء، في غيمة، في نسغ شجرة،
في قلب حجر، في عينِ عاشقة. في قاع بئر:
تركض حين تصلُ، إلى حقول وأفلاج.
فرحانة مثل قرنفلة حمراء. شفيفة مثل
سماء صافية. ودودة مثل قمر وضّاء.
صبورة مثل كلّ الرمال التي مسحت على
جسدها.

مدن مُنهكة،
نصحو فيها
نستنشق روائح الفقر ودخان القنابل
نبحث عن نوافذ ليست موجودة
حياة دمّرها الغُزاة والثوريون الخونة
في آخر النهار
نضع ابتساماتنا على وجه حرقته الشمس
ننتظر ميتة سهلة.

تتعبُ الشمس في ملاحقة ظلال الشجرة.
يتعب العجوز من الجلوس على مقعد
الحديقة.
يتعب النهار من سماع هدير البحر.
لكن الساسة الذين يأكلون الأحياء
لا يدفنون الموتى، لا يتعبون.

ما الذي تبقّى،
فقد غادرت الطيور أعالي الأشجار؟!
حبلٌ يتأرجح على سارية العلم،
أصداء صيحاتنا تسقط على الأرض،
واحدة واحدة.
ما أثقل الحزن على الفؤاد!

من نافذة المطبخ، الجالس قبالة الشمس،
ينظرُ إلى حياة هربت.
السيّدة خبزت العجين، أشعلت النار في
التنّور.
البغل وصاحب البغل، رجعا من الحقل.
ليلٌ طويلٌ قارس قاس.

ها قد ربطتَ ساعة ذهبية حول رسغك،
علّقت نيشان الشجاعة على صدرك،
ثمّ مشيتَ رهنتَ روحك إلى ظلمة موحشة،
استرح قليلاً قبل أن تقفز قفزتك الأخيرة.

العجوز تركتْ سطل الحليب في الحظيرة.
كأنّ أحداً نادى عليها،
كأنّ بيرقاً يخفق في الهواء خطف بصرها.
الخوف كائن يتنفّس مثلنا.

نكبرُ، لأن أحزاننا تكبر،
لأن ضحكاتنا تسقط على الطريق.
يا ليدي، هاته التي قطفت الزهرة!

كيف تتغلّب على الكآبة؟
- أحذف الزورق المقلوب على الرمل، أضع
مكانه شجرة.
أحذف نافذة الغرفة العلوية، أضع مكانها
صورة الشهيد.
- هل هذا يكفي كي تشعر بالسكينة؟!
- أدخل البيوت أجمع صور الناس من
الحيطان،
أضعها أمامي، أحدّق فيها طويلاً.

لن يقدر الليل على إخفاء وجوه الجنود
لن تقدر الكلمات على إخفاء وجوه القتلى
الكراهية سكبت صهارة الحديد
الأرض كرة نارٍ

حيّ في خانيونس دمّره العدوان الصهيوني بالكامل، 25 تشرين الأول/ أكتوبر 2024 (Getty)

الكراهية دائماً تأتي كاملة
الحب دائماً يأتي ناقصاً.

لكي تسقط الثمار على الشجرة
أن تميل قليلاً
لكي يحلّق الطائر على الجناحين
أن يتقوّسا قليلاً
لكي تتلافى السحلية الخطر على الرأس
أن يرتفع قليلاً.

مثلما للقميص أكمام للأرض أكمامُها
الشمس تظهرها
الظلال تهبها الفخامة والأبّهة
لكنها في رحلتها الأبدية لا تقف على بابٍ
ولا تتمهّل لتسمع صوت الأغنية.

الألوان حيرة الكلمات.
يمكن قياسها: بالأصبع، بالذراع، بالقدم،
بالقامة، بالفرسخ،
أو بصدى الصرخات.

لقد وصلت الحممة ولم يصل الحصان!
غاصت أقدامه في رمل رجراج. خطفته
الجنّ. تصدّع قلبه، خرّناً. صار أعمى. لم يره
أحدٌ في برّ أو بحر.

«الكمان على الكتف، الخلخال يحيط
بالكعب. له أن يفيض بالألحان ولي أن أدقّ
بقدميّ أرض هذا الحوش الضيّق إلى آخر
الزمان!»، قالت الفتاة محدّقة في وشم على
ظاهر يدها.
الشمس المنعكسة من عتبة الجامع، تَسقط
على فستان الساتان الأحمر، بينما يدُ
الرجل تُسقط حبّات المسبحة في تناغم
حلو مع أغنية عبد الوهاب: «سهرتُ منه
الليالي».
كم مرّةً مشى في هذا الزقاق؟ كم مرّة خدّرته
رائحة طبق الحرايمي من نافذة عالية؟ كم
مرّة خفق قلبه أمام بابها؟ هو ليس أكثر
من ولد يخاف الشوارع الواسعة.

هذا الصباح الخريفي المطمئنّ
أقرأ قصائد لشعراء من أقصى الأرض،
لا شيء فيها يُشبهني أو أُشبهه.
التفتُّ ناحية المبنى المهمل، أتساءل هل من
شيء مشترك بيننا؟
مبنًى صار بيتاً لـ:
أزواج من الصقور المحلّية
شجرة سنط تؤوي هداهد تقضي نهارها
في حديقة المدينة الأثرية
ركن سور قصير بيتاً لقطة كبيرة بذيل
منقّط
أزواج عديدة من الحمام تطير بالغدوّ
والآصال
صوب أشجار هيكل ماركوس أوريليوس
طيور بوم نهارية، دائماً تختار بقعتها
فوق السور قبالة الشمس
نخلة تزورها الزواحف والخنافس طوال
السنة
نوارس تقف على سطحه تفعل ما يفعل
النوارس
بناية يرتادها باحثو الخردة والأطفال
المغامرون
بناية لا تعبأ بالقصائد والشعراء
حقّاً لا تشبهني ولا أشبهها
أنا مبنى مهمل خالٍ من الكائنات!

لا أكاد أميّز بين صوت تلاطم أمواج البحر
في أوّل هذا الخريف
وأصوات طفولة دحرجها الزمان في طيّة
من طيّات الوجدان!
«البحر لا ينام»، تقول أمّي، تضع أسماك
السردين
المقطّعة بعناية على سفرة الخشب
القصيرة الأرجل
«لو فرغ البحر من أسماكه يموت»، تقول
وهي تقلّب السردين في دقيق ناصع
البياض
«ليس هناك دقيق أكثر رقّة ونعومة
وبياضاً من دقيق خمسة زيرو»، يقول أبي
جالساً بجانب أمي يُشذّب بمقصّ صغير
شاربه
«لا يتأخر الخريف عن المجيء، تجرّه غيومُه
المجنّحة»، تقول أمي، تضع السردينَ في
المقلاة
«ستأتي العربات المحمّلة بالرمّان الأحمر،
سنغفر للخريف جنونه»، يقول أبي ماسحاً
على شاربه المائل قليلاً، جهة اليسار.

لم أتكلّم بعدُ عن البئر
عن عين الماء التي دلّت العطشى إلى قلبه
أليس هذا ما يفعله القمر،
يبحث عن يدٍ يخبرها عن القوس والسهم

هي زلزلة وحسب تجعل
الغرقى يركضون
كلّ الأرض تركض.

يأخذون الجنود إلى الحرب قبل طلوع
الشمس
لكنهم يعودون، في صناديق ذخيرة،
بأطراف مبتورة، بقلوب فارغة، أو أرقاماً
منقوشة على قلادة ملساء لمّاعة، أو داخل
حفر في قفار مغبرّة موحشة.
دائماً تمدّ الأرض يدها إلى السماء ولا
تصل!

«رأيتُ جسدك في فم البلدوزر الحديدي
هشّاً
رأيتُ الهدهد ينظر إليك من على السور
القريب
ذيله يهتزّ
قلبه يصبّ فيه نهر حزن
البحر يركض إليك
حجارته تسبقه
نوارسه تسبقه
الكائنات تشيّع جسدك الهشّ
لا شيء في المكان الآن سوى
وحشة ثقيلة خانقة!».

الكلمات حجارة تتبع بعضها. الكلمات
موت فوق موت. الكلمات تخفي أجساداً
وراء أجساد.
ماذا أكتبُ على حائط لا أملكه؟
الحائط يكتبه العابرون، يضعون أسماءهم
داخل دوائر تترنّح.
رأيت المزارع يلوّح بمنجله من آخر الحقل.
سمعتُ جوار الباب، همْسَ الفراشة تُعاتب
قلبها.
الرمل
النسيان
الشجن
الفتى العريان
الزورق
أخذهم الغياب.
أهكذا يتأرجح الموت
بين الحرّية والأبدية؟!

الأصفر للسنابل في الحقل. الأخضر
لشجرة التين.
الأزرق للصبح
للبحر.
الكون
ينصت إلى حفيف الهواء ينسلّ من أكمام
الأغنيات
نوافذ وجسور لا تنتهي. ما أكثر مرايا
الشوارع!

تنظر إلى أين؟
إلى حياة باهتة
بيتٍ قشّره الوقت
قدرٍ لا يدخله الطعام
سجنٍ كبير اسمه القهر

«البئر لا تأتي إلى العطشان» قالت جدّتي
«الدنيا كتفا أمّي» قال الرضيع

ما أكثر الفراغ في هذه البيوت
لا يزورها مطر ولا ظلال!

(شاعر ومترجم من ليبيا)

موت فوق موت

الكلمات حجارة تتبع بعضها. الكلمات موت فوق موت. الكلمات تُخفي أجساداً وراء أجساد. ماذا أكتبُ على حائط لا أملكه؟ الحائط يكتبه العابرون، يضعون

أسماءهم داخل دوائر تترنّح. رأيت الفُزارع يلوّح بمنجله من آخر الحقل. سمعتُ جوار الباب، همْسَ الفراشة تُعاتب قلبها. الرمل، النسيان، الشجن، الفتى العريان، الزورق، أخذهم الغياب. أهكذا يتأرجح الموت بين الحرّية والأبدية؟!

معرض

الهروب بما كنت أرتديه محاولة لتحطيم الصور النمطية

نسيج يروي عذاب المهاجرين

من المعرض

يُعيد المعرض المقام حالياً في مدريد بناء قصص المهاجرين من خلال الملابس والأشياء التي اضطروا إلى الفرار بها من بلدانهم لأسباب مختلفة

مدريد ـ **العربي الجديد**

اضطرت ميشيلين أمبوما إلى الفرار من جمهورية الكونغو الديمقراطية قبل 15 عاماً، بعد أن قتلت مليشيات مسلّحة زوجها واحتجزتها رهينة لمدة أسبوعين. في ذلك الوقت كانت حاملاً. تتذكّر قائلةً: «غادرت بما كنتُ أرتديه». هكذا بدأت رحلة طويلة، عبرت فيها طرقاً وبحاراً. وفي هذه الرحلة ولدت ابنتها. على طريق السفر، قامت ميشيلين باستخدام الملاءات والأغطية كملابس، خصوصاً عندما كانت مضطرة إلى غسل قطعة الملابس الوحيدة التي كانت تلبسها. لم تحمل معها أية وثيقة تثبت شيئاً عنها: اسمها، هويتها، حياتها، حقائبها. لقد فقدت كل شيء في البحر.
حالياً تعيش ميشيلين في إسبانيا مع ابنتها التي تبلغ من العمر 17 عاماً. غير أن الملاءات والأغطية التي كانت تستخدمها كملابس لها في عبورها لم تفرط بها، وهي الآن معروضة مع قطع وأقمشة وأشياء أخرى في معرض «الهروب بما كنتُ أرتديه»، المقام حالياً في متحف «تراخي» بمدريد، ويتواصل حتى الثاني من شباط/ فبراير 2025.
يعيد المعرض بناء قصص المهاجرين من خلال الملابس والأقمشة والأشياء التي ارتدوها عندما اضطروا إلى الفرار من بلدانهم. كل قطعة قماش موجودة في المعرض تروي قصة لاجئ أو شخص اضطر للهرب من بلده لسبب من الأسباب. بحقيبة صغيرة وقميص كرة قدم وصندل، سنتعرّف على قصة محمد، الشاب المغربي، الذي حاول أكثر من 10 مرّات عبور الحاجز قبل أن تطأ قدماه الأرض الإسبانية، بحثاً عن مستقبل أفضل وحياة «أكثر كرامة وأقل عذاباً»، كما يقول. ومن خلال برقع أفغاني داكن اللون، سنتعرف أيضاً على قصة فاريبا قريشي، القاضية الأفغانيّة التي وجدت نفسها بين ليلة وضحاها مضطرة للخروج من بيتها بعد سيطرة طالبان على البلاد عام 2021. ولكونها امرأة وقاضية، كانت حياتها في خطر. لذلك وضعت على جسدها برقعاً دائماً كي تحمي نفسها. «كان ذلك البرقع الأسود سبب نجاتي، ولذلك احتفظت به». كل قطعة ملابس في المعرض هي تعبير عن الظرف الذي مرّ به إنسان ما، وهي نسيج من لحظات العذاب التي مرّ به. من هنا يهدف المعرض إلى رفع مستوى الوعي وتقريب واقع اللاجئين لكسر الصور النمطية وتعزيز التعاطف من خلال نهج شخصي ورمزي مهم: الملابس. تشكل قطع الملابس والإكسسوارات العمود الفقري للمعرض، وهي مستوحاة من شهادات اللاجئين التي تسهّل إجراء حوار شخصي للغاية مع الزوّار. بالإضافة إلى ذلك، دُعم المعرض بقصص فردية، ومواد سمعية وبصرية، ورسوم بيانية، وصور فوتوغرافية، وغيرها. أما بالنسبة للسرد، فيُدعم حول واقع اللاجئين من خلال الأشياء التي رافقتهم أثناء فرارهم من بلادهم، أثناء رحلتهم أو عند وصولهم إلى إسبانيا، مما يساعد على استكشاف المراحل المختلفة التي تمرّ بها حالتهم، منذ لحظة الهروب، حتى وصولهم إلى البلد المضيف. هكذا تتحوّل تلك الأشياء، التي تبدو للوهلة الأولى بلا قيمة، إلى مساحة للتأمل، من خلال تسليط الضوء على دورها في رحلة عبور الأشخاص الذين يقفون وراءها، لا سيما في سياق بدأت فيه خطابات كراهية الأجانب والعنصرية تتجسد بشكل علني كما هو الحال في الخطة الأخيرة لرئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني لترحيل المهاجرين إلى ألبانيا.

إضاءة واقع اللاجئين في سياق خطابات الكراهية السائدة في أوروبا

قراءة

«حرب» بوب وودورد انحيازٌ للسردية الصهيونية

ثرثرة استخباراتية من أوكرانيا إلى فلسطين

ديمة شريف

يتجاهل الصحافي «الاستقصائي» الأميركي في كتابه الأخير السردية الفلسطينية، ويضعنا في جوّ استخباراتي مُثقل بأسماء الرؤساء و«صنّاع القرار»

في الصفحة ثلاثمئة وخمس وخمسين من كتابه «حرب»، الصادر حديثاً عن منشورات «سيمون وشوستر»، وقبل واحدة وعشرين صفحة على نهايته، يخبرنا الصحافي والكاتب الأميركي بوب وودورد أنّ وزارة الصحة في غزّة تقول إنّ «العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزّة قتلت ما يقرب من تسعة وثلاثين ألف شخص، وأجبرت معظم سكان القطاع البالغ عددهم مليونان وثلاثمئة ألف على النزوح». وبعد حوالي مئة وستين صفحة على بدء الجزء المخصّص لفلسطين وحرب الإبادة عليها في كتابه، يتذكّر وودورد أن هناك ضحايا في غزة للمرة الأولى، بعد أن كرّر في كلّ فصل سابق الإشارة لـ«مجزرة حماس» و«الأطفال المحروقين» و«النساء المغتصبات» والآلاف ومئتي قتيل إسرائيلي.
ليس مستغرباً انحياز الصحافي الاستقصائي السابق في «واشنطن بوست» إلى الرواية الإسرائيلية وتجاهل السردية الفلسطينية، فكلّ مصادره أميركية وإسرائيلية، نسجها عبر عقود من ممارسة العمل الصحافي في أروقة السلطة في واشنطن. ووودورد ومنذ كشف في عام 1972 التجسّس الداخلي من قبل الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون على معارضيه والمعروف باسم قضية «ووترغيت» هو وزميله في «واشنطن بوست» آنذاك كارل بيرنستين، فُتحت له أبواب مغلقة أمام أغلبية الصحافيين، وأصبح لديه اطّلاع على الكثير من الخبايا والأسرار. ورغم أنّ الكاتب الثمانيني لا يُفصح عمّن أخبره تفاصيل بعض المحادثات التي نقع عليها في الكتاب، يكشف عن لقاءات أجراها مع عدد من السياسيّين الأميركيين والإسرائيليين (مثل مساعدين لنتنياهو أو جنرالات سابقين) والعاملين في واشنطن وتل أبيب، ويدورون في فلك صُنّاع القرار. يعرف القرّاء على الأرجح أبرز مضمون الكتاب، إذ ومنذ تسريب بعض الأجزاء لصحيفة واشنطن بوست، قبل صدوره ببضعة أسابيع، انتشرت على نطاق واسع قصة إرسال ترامب فحوصات كورونا لبوتين أثناء الجائحة واتفاقه معه على عدم البوح بذلك، وإشادته بالصين وبوتين بشكل متكرّر. كذلك هفوات بايدن أثناء لقاءاته بمتبرّعين لحزبه، وغضبه الكبير بعد صدور تقرير المدّعي العام عن حالته الصحية والذهنية، ومشاكل ابنه هانتر أمام القضاء.
يخصص الكاتب الجزء الأول (حوالي مئة وستين صفحة) للحرب في أوكرانيا فنقرأ عن كيف راقبت واشنطن الأوضاع على الحدود مع روسيا قبل أكثر من عام على الاجتياح، وتفاصيل التحضير للقاء بايدن وبوتين الشهير في عام 2021. وفي الجزء الثاني يتناول عام الحرب في غزّة، أو على الأقل حتى آب/ أغسطس الماضي، فينقل تفاصيل محادثات كثيرة جرت بين المسؤولين الأميركيين والإسرائيليين ومحاولات الرئيس الأميركي ووزير خارجيته أنتوني بلينكن إقناع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بعدم الاجتياح البرّي وبهُدن متعدّدة سقطت، وبصفقة لم تحصل.
وينقل وودورد في محطّات كثيرة رأي المسؤولين الأميركيين السيّئ عن نتنياهو وعدد من المحيطين به، إذ يعتقدون أنه «يكذب» وممثّل ومدّع، ويقول في السرّ عكس ما يعلنه أمام كاميرات الإعلام، ولا يهمّه سوى أن يبقى في منصبه.
الكتاب كما كلّ ما ينشره وودورد عبارة عن الكثير من الفصول، بعضها ليست أطول من نصف صفحة، فالرجل لا يتقن حرفة العناوين ولا العناوين الفرعية (وكل من يعمل في الصحافة المكتوبة يعرف كم يتطلب الأمر موهبة لكتابة العناوين الرئيسية والفرعية منها في أي مقال مهما كان بسيطاً) ويكتفي بالأرقام. يستعرض الرجل قدرته المذهلة على جعل الناس يتكلمون ويُفصحون له عن أسرار ومحادثات سرّية وحميمة.
ويؤكّد الكتاب ما يعرفه من قرأ بعضاً من كتبه التي ناهزت العشرين: الرجل علاقاته قوية داخل كلّ الإدارات الأميركية المتعاقبة. وهذه العلاقات تسمح له بلقاءات وجلسات مع مسؤولين حاليّين وسابقين يخبرونه الكثير. فترامب مثلاً وافق بعد أن أصبح رئيساً على عدد من اللقاءات مع الصحافي المخضرم نتج عنها كتاب «أشرطة ترامب: مقابلات بوب وودورد العشرين مع الرئيس دونالد ترامب» (2022)، واستخدم جزءاً منها في كتابه «غضب» (2020). اللقاء الوحيد في «حرب» الذي لم نعرف عن تفاصيله جمع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بوزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن، والسبب أن السيسي وفق الكتاب «طرد كلّ مساعديه ومساعدي بلينكن خارج الغرفة وطلب أن يجتمع به وحدهما».
والكتاب مليء بالجمل التي لا مكان لها في كتاب ثرثرة استخباراتية. فيخبرنا مثلاً أنّ كامالا هاريس عند لقائها الرئيس الأوكراني فولودمير زيلينسكي قبل الحرب «نظرت بعمق في عينيه واقتربت منه وسألته: ماذا تريد مني أن أفعله؟ الصمت بينهما طال». أو مثلاً هاريس نفسها بعد لقاء في ميونخ مع مسؤولين «ألقت بأنظارها من الشبّاك وحدّقت في الأفق وهي تفكّر كيف ستجد حلاً للمشكلة». أو مثلاً «وصل سوليفان إلى منزله. حدّق في وجه زوجته بعد يومه الطويل...». وهي عبارات لا تتناسب مع جو الكتاب، ويبدو مكانها في رواية.
القرّاء العرب قد يكونون مهتمين بالاطّلاع على مضمون الكتاب، خصوصاً أنه في جزئه الثاني يضع جدولاً زمنياً لمفاوضات حرب الإبادة على غزّة، ويؤرشف اللقاءات وتواريخها والرحلات المكّوكية التي قام بها بلينكن للمنطقة، مع تفاصيل كثيرة عن هذه اللقاءات وما دار فيها من أحاديث في السرّ، وكيف انتهت في العلن. لكن الاستفاضة بتفاصيل «روائية» والانتقال في بعض أجزاء الكتاب من أوكرانيا إلى غزّة والعودة إلى كييف وموسكو، تضعف الكتاب ومضمونه.

(من أسرة التلفزيون العربي)

لا يُفصح عمّن أخبره بتفاصيل المحادثات الواردة بكتابه

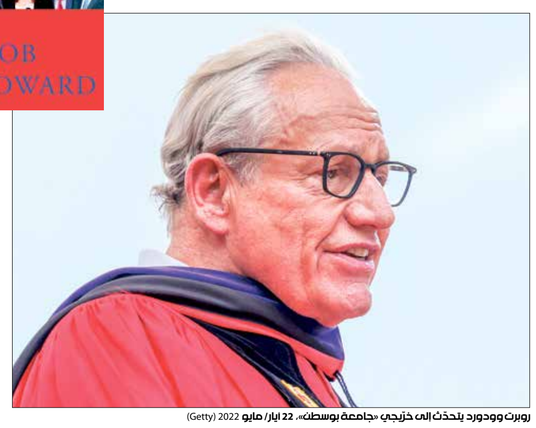
روبرت وودورد يتحدّث إلى خرّيجي «جامعة بوسطن»، 22 أيار/ مايو 2022 (Getty)

فعاليات

يُقيم «منتدى الاقتصاديين العرب» ندوةً تكريمية لعضوه الفخري السابق، الاقتصادي اللبناني الراحل **جورج قرم** (1940 - 2024/ الصورة)، عند السادسة من مساء الأربعاء المقبل في بلدية الدائرة الرابعة عشرة بباريس. تتضمن الندوة مداخلات من **سمير عيطة**، و**هنري لورنس**، و**كريم بيطار**، و**آلان غريش**، و**بطرس حلاق**، و**هلا اليوسفي**.

عند السابعة من مساء السبت، السادس عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر المُقبل، تُعقد في «مكتبة ديوان» بالقاهرة الندوة الثانية من سلسلة «ديوان محفوظ»، بعنوان **مصر القديمة في كتابات نجيب محفوظ بين التاريخي والروائي** ويقدّمها الكاتب **شريف شعبان** (الصورة)، ويتناول أربع روايات تاريخية، هي: «كفاح طيبة» و«رادوبيس» و«عبث الأقدار» و«العائش في الحقيقة».

تنظّم «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بالتعاون مع «مؤسسة محمود درويش» ندوةً لإحياء ذكرى الروائي اللبناني الراحل **إلياس خوري**، عند السادسة من مساء الثلاثاء المقبل في «متحف محمود درويش» برام الله. يشاركُ في الندوة: **جاد تابت**، و**فتحي البس**، و**إيهاب بسيسو**، و**فاروق مردم بيك**، وتُديرها الباحثة **رنا عناني**.

ضمن فعاليات «مهرجان الحرف والصناعات التقليدية» المقام حالياً في سوق القطارة بمدينة العين الإماراتية، وتحت شعار **استكشفوا واحة الكتب**، تُتيح مؤسسة «مكتبة» حتى السابع عشر من الشهر المقبل، وعبر جناحها في الظاهرة، مجموعة من إصداراتها التي تتناول موضوعات ذات صلة بالتراث والثقافة في الخليج العربي.